

بسم الله الرحمن الرحيم

فاعلم يا أيها السائل الجليل بأن هذا الطير قد وقع بين مخالف المنكرين و مناقير المبغضين فكيف يقتدر ان يترنم في حديقه الوجود بمزامير آل داود و اتى له ان يتغنّى على الأفنان بفنون الألحان لأنّ حجابات الظلمة حالت و حجب الأَبصار و آية اللّيل الأليل نسخت آية النّهار و صمّت الأذان عن استماع الأسرار و عمت الأعين عن مشاهدة الآثار و الأنوار ولكن القى عليك كلمة ممّا علّمنى الله بفضلله و رحمته و الهمنى بجوده و موهبته أنّه لهو الملهم على قلب من يشاء من خلقه و هو المؤيّد القديم ثمّ اعلم بأنّ معرفة هذا البيت منوطة بمعرفة مقامات الألوهية و مراتب الربوبية و سريان الوجود الحقيقى فى الحقائق الممكنة المكونة المستفيضة المتقابلة للتجليات الرحمانية و الظهورات الصمدانية و الآيات اللاهوتية و الأشعة الساطعة عن شمس الحقيقة و نحن نشير اشارة الى تلك المقامات الغيبية و هو انّ غيب الألوهية و الهوية الفردانية فى مقام تنزّهه عن الأسماء و الصفات المدركة للحقائق الانسانية غيب منيع لا يدرك و ذات بحت لا يوصف و السبيل مسدود و الطلّب مردود دليله آياته و وجوده اثباته و ذلك المقام فى عرف اهل الحقيقة يعبر بالأحدية الصرفة و الهوية البحتة و الكنز المخفى و ذات بحت و لا تعين صرف و غيب الغيوب و مجهول المطلق و مجهول النّعت و المنقطع الوجودانى و سائر الأسماء و عبروا كلّ واحد من هذه التعبيرات بملاحظة فان اردنا ان نذكر مقاصدهم يطول معنى الكلام و فى هذا المقام لم تكن الصفات و الأسماء ممتازة عن الذات و حقائق المعلومات فى كتم الانعدام بل الصفات عين الذات من دون شائبة الامتياز بل كلّها شؤون معتبرة فى الذات بنحو البساطة و الوحدة من غير شائبة الغيرية و هذا مقام الذى قال عليه السلام كان الله و لم يكن معه من شىء فقال بعض العارفين الآن يكون بمثل ما قد كان فانظر فى النقطة التشريعية و التدوينية أنّها فى ذاتها جوهره فردانية و حقيقة احدية و انّ الحروفات و الكلمات اعتبارات و شؤون لها و مندرجة و مندمجة فى حقيقتها و هويتها بكمال المحو و الفناء بحيث لم يكن ظاهراً منها شأن من الشؤون و لم يكن الوجود الا لذات النقطة الأصلية و كذلك فانظر فى الأعداد بأنّ كلّها اعتبارات للأحد و الأحد ليس من الأعداد ولكن كلّ الأعداد تنشأ منه و موجودة و معتبرة فيه مع فقدان الكثرة بل بكمال البساطة و الوحدة فهذا مقام الأحدية الصرفة و مرتبة الهوية البحتة و اما المقام الثانى و المرتبة الثانية المرتبة على هذه المرتبة و تابعة لها فهو مقام مستجمعية جميع الصفات الكمالية و سرّ هذا المقام انّ الكينونة الصمدانية فى غيب ذاته و خفى صفاته اقتضى كمال الجلاء و الاستجلاء فأما الجلاء عند بعض الموحّدين هو ظهور الحقّ سبحانه بنفسه لنفسه بصور الأعيان و اما الاستجلاء هو شهوده جماله و كماله فى مرايا الحقائق و الأعيان لذا بواسطة الفيض الأقدس ظهرت شؤون الذاتية من المرتبة الأحدية فى المرتبة الواحدية و فى هذا المقام تعيّن الأعيان الثابتة بوجود علمى عينى لا بوجود خارجى لأنّ الأعيان ما شمت راحة الوجود الخارجى ولكنهم موجودون بوجود علمى الهى فهذا المقام أوّل ظهور الحقّ من الكنز المخفى و يعبر بالواحدية و الألوهية و مرتبة الأعيان الثابتة و الأعيان عبارة عن الصّور العلمية الالهية فى حضرة العلم فاحفظ هذه المعانى فى ذهنك و اغل مهرها عندك و اعلم بأنّى قد القيت عليك ما غنّ عندليب العرفان على افنان دوحه البيان بفنون الألحان فاستمع له و اعرف قدره

ثمّ اعلم بأنّ الحقّ بفضلله و احسانه و كرمه و جوده خلق حقيقة كلبية و جوهره نفيسة و برزخاً جامعاً بين الحقائق الألوهية و الحقائق الكونية و جعلها جامعة لهما و ديباجة لديوان الابداع بظهور لا اله الا الله و اودع فيها آية من كماله و جماله و عزّه و سلطانه و قدرته و هيمنته و احسانه حتّى يستدلّ المستدلون بهذه الآية اللاهوتية و الكلمة الجامعة و النقطة الكاملة على ذى الآية القديمة و بذلك استحقّ هذا المظهر العظيم ان يكون خليفة لله فى عوالم الانشاء كما قال الله تعالى اتى جاعل فى الأرض خليفة و كذلك قوله تعالى لقد خلقنا الانسان فى احسن تقويم و كذلك قوله تعالى و لقد كرّمنا بنى آدم و قوله تعالى انا عرضنا الأمانة على السموات على آخر الآية لأنّ الأمانة هى مقام مستجمعية الصفات الكمالية و الدلالة التامة و المرآتية الكاملة

كما قال على كرم الله وجهه أ تحسب أنك جرم صغير و فيك انطوى العالم الأكبر و انت الكتاب المبين الذى بأحرفه يظهر المضمرة فانظر ببصر الذى خلق الله فى هويتك و ذاتيتك بأن شأناً من شؤون الحق أنه لا يشغله شأن عن شأن و هذا المقام له آية فى الانسان بحيث ترى أنه فى آن واحد يسمع و يرى و ينطق و يشم و يفقه و يدرك و ليس شأن من الشؤون مانعاً له عن شأن آخر

و كذلك فانظر فى اسماء الله تعالى أنه سميع بصير عليم حكيم حتى قدير كريم عفوّ غفور و بمثل هذا كلّ الأسماء بحيث من كلّ اسم من اسماء الله الحسنى و صفة من صفات الله العليا ترى آية موجودة فى الانسان تحكى عن بارئها و لو لا هذه الآية لما ادرك احد هذه الأسماء و الصفات مثلاً هل تقتدر ان تعرف الأكمة التبصر و المشاهدة و هل تستطيع ان تفهم الأصمّ قوّة الاستماع لا فوربّ الأرباب بل أنه محجوب و غافل عنها اذا تفكّر فى هذا المظهر الكامل و المطلع الفاضل و الفيض الشامل أنه جامع لكلّ المراتب و المقامات العالية و الحقائق الملكوتية و الدقائق الجبروتية و الفيوضات اللاهوتية و كذلك هو جامع للحقائق الكونية و الظلمات الامكانية و فى الحقيقة هو البرزخ الأكبر و الواسطة العظمى و مجمع البحرين و ملتقى التهرين و حاوى الشائين

فلنرجع الى معنى البيت قال الناظم قدّس سرّه و لم اله باللاهوت عن حكم مظهرى اى لم احتجب و اغفل بظهور الآيات اللاهوتية و الفيوضات الرحمانية و الآثار الصمدانية و الأنوار الوجدانية التى تتجلى على من غيب الأحدىّة و ذات الهوتية فى مقامات استغراقى فى بحور محبة الله و اشتعالى من نار عشقه و شوقه عن حكم مظهرية التى هى كوني معرضاً لظهور هذه الآيات و مظهراً لبروز هذه المراتب العالية عند شروق اشعة الساطعة عن شمس الذات اى لا انسى آيتى و ذلى و فقرى و مسكتى و اضطرارى و احتياجى و ناسوتى و اعرف قدرى و مبلغى و شأنى لأنّ بعض الناس اذا افاض عليهم بحر القدم قطرة من المعانى و التجليات بواسطة اسمه الأعظم و شربوا كأساً دهاقاً من يد ساقى البقاء فى جنة العليا فى ظلّ اسم الله الأعظم الأعلى سكروا و طربوا و فرحوا و نسوا مقام آيتهم و ذلهم و فقرهم و مسكتهم و حسبوا أنهم وصلوا الى مركز الهدى و الدرجة العليا و سدرة المنتهى و المسجد الأقصى فبسبب هذا الظنون و الأوهام اتهم سطوات الملك القديم بقهر عظيم و خوطبوا بخطاب الحى القيوم اخسؤوا فى مراتبكم السفلية و درجاتكم النازلة الظلمانية و لا تكلمون فجانب جناب الحق هيهات لم يكن فيها انت حتى ان تكن صادق مت لأنّ لم يكن حجاب اعظم من الأنانية و بقاء الوجود عند التجليات القدسية من جمال الله المهيمن القيوم وجودك ذنب لا يقاس به ذنب فأين هؤلاء من الذين شربوا بحور الحيوان و لم يجد احد من شفيتهم اثرأ اما سمعت بأنّ الذى كان فصّاً فى خاتم الكمال و شمساً فى فلك الجمال و صباحاً صادقاً مشرقاً على الافاق مع عظمة شأنه و جلالة قدره و علو منزلته بحيث ما رأت عين الوجود بمثله و شبهه و كان مظهراً كلياً و مشرقاً ربانياً و روحاً قديماً و انّ الله تبارك و تعالى تجلّى عليه بكماله و جماله و اودع فيه اسرار ما كان و ما يكون و كان حقيقة جامعةً و كلمة تامّةً و كتاباً مسطوراً و لوحاً محفوظاً و كان علة خلق الممكنات و الثمرة البانعة البالغة من شجرة الموجودات و مخاطباً بخطاب العزيز الوهاب لولاك لما خلقت الأفلاك مع ذلك قال ما عرفناك حق معرفتك و ما عبدناك حقّ عبادتك و ربّ زدنى علماً هل يليق لأحد ان يدعى الغنى و يتفوّه بشيء يخالف هذا المنهج البيضاء لا فوربّ الأرض و السماء بل له ان يقول

سبحانك اللهم يا الهى انى عبد من عبادك و ذرّة فى عوالم انشائك و لولاه ان الهمتنى بشئائك و ايدتنى على ذكرك و علمتنى من تاويل آياتك و اقمتنى على امرك لكنت هباءً منبثاً و ظلاً فانياً و سراب بقيق يحسبه الظمان ماءً ولكن بفضلك و جودك اسقيتنى من رحيق المختوم و ادخلتنى فى حدائق سرّ المكنون و اغمستنى فى بحور الهامك و عرجتنى الى سماء المكاشفة و الشهود بلطفك و منك و احسانك اى ربّ عرّفنى مقامى ثم اجعل ذلى و مسكتى نصب عينى لأكون عارفاً بفقرى و متبهاً فى شأنى و ملتفتاً الى جهلى و فقدانى اى ربّ وقّفتنى على ذلك بفضلك لأنك انت المتفضلّ البازل الغفور الرحيم

و كذلك فانظر فى معنى شطر الثانى من البيت فيقول و لم انس بالناسوت مظهر حكمة اى لا انس و لا احتجب من تنزلاتى فى درجات الفقر و الفقدان و استيلاء ظلمات الامكان و التعينات الناشئة المحدودة فى حقائق الانسان و مراتبى الناسوتية الظلمانية و دركاتى الشهوانية الحيوانية مظهرى للحكم الربانية الأسرار الفردانية و التجليات الصمدانية و الحقائق اللاهوتية و لا احتجب بشؤون الجسمانية و لا انس انسى بلذائد الروحانية و مقامات مكاشفتى و شهودى و مشاهدة آيات موجدى و معبودى فى الآفاق و فى نفسى كما قال الله تبارك و تعالى سنريهم آياتنا فى الآفاق و فى انفسهم حتى يتبين لهم انه الحق اسمع ما غنت و رقاء القدس فى حديقته الفردوس قال حينئذ اذكر لك اشارات قدسية شعشعانية من مراتب الجلال ليجذبك الى ساحة القدس و القرب و الجمال و يؤيدك على امر لا ترى فى الوجود الا طلعة حضرة المحبوب و لن ترى الخلق الا كيوم لم يكن احداً مذكورا تالله لو تصل الى ذلك المقام لن تغفل عنه ولو يقطعك احد ارباً ارباً هل ينسى طالب الأديب ظلم الحبيب او يغفل ظمآن العطشان عن كثر الحيوان لا فوربى الرحمن بل انه يقول

الهى حليف الحب بالليل ساهر

ينادى و يدعو فالمغفل يهجع

فهذا معنى من معانى البيت قد القيته عليك

و اما المعنى الثانى يقول بأنّ بأمور الروحانية اللاهوتية و جذباتى من جذوات نار الله الموقدة الصمدانية و شغفى فى جمال الله و حبى و هيمانى فى جمال محبوبى و مولاى و اشتغالى بالسلوك الى الله و اشتغالى من حرارة محبة الله لم احتجب عن وظائف الشريعة و الطريقة و العبادات و لم اله عن فرائض التى فرض الله على فى اعمالى و مناسكى لأن الكمال للانسان ان يكون جامعاً لكل الشؤون و المراتب و كاملاً فى الكمالات و الدرجات بحيث لا يمنعه اشتغال قلبه و اشتغال حشاه فى ذكر الله و مكاشفته و شهوده فى جمال الله عن عبادات التى فرض الله عليه فى الشرائع و السنن حتى يكون سره مطابقاً لعلايته و ظواهره مرآة لبواطنه و اركانه و اعضائه شاهداً بما فى قلبه و روحه و من غير هذا ناقص فى الظاهر ولو كان كاملاً من حيث الباطن بل كمال الباطن بكمال الظاهر و جمال الظاهر بكمال الباطن لأن بعض من الناس الذين غفلوا عن سر الله القديم و احتجبوا بحجبات انفسهم عن المنهج القويم و الصراط المستقيم اقتنعوا بالباطن و انكروا الظاهر من اوامر الله و احكامه بل نسوه نسياً منسياً فهذا لم يكن الا احتجاباً عن الحق بل الانسان الكامل ان افعاله و اعماله و قيامه و قعوده و نطقه و ثنائه و عروجه فى سماء العرفان و طيرانه من حضيض الجهل الى اوج العلم و الايقان كلها تدلّ بأنه ماشى على خط الاستواء بين الأرض و السماء و انه لآية من الرحمن بين ملا الامكان و ظهور العدل فى الأكوان و مكن شؤون التوحيد بعون الله العزيز الحميد و كذلك لم انس بالناسوت اى اشتغالى بالشرائع و السنن و العبادات الجسمانية شؤون الروحانية و آيات الوحدانية و ظهورات الصمدانية من الحضرة الرحمانية بل اكون جامعاً بينهما و واحداً لكليهما

و كذلك قصد بهذا البيت معنى آخر و هو انّ النفوس التى نجوا من مهالك النفس و الهوى و انتبهوا من نوم الغفلة و العمى بما مرّت عليهم نفحات ربهم الرحمن من جنة رحمة اسمه العزيز المنان و جاهدوا فى الله حق جهاده حتى تصاعدوا فى الدرجات العليا و تقربوا الى مقام قاب قوسين او ادنى عند جنة المأوى و سدرة المنتهى و فنت شؤونهم و صفاتهم و ذواتهم و أيتاتهم فى صفات الله و صاروا فانياً من انفسهم و باقياً ببقائه هؤلاء الأختيار مظاهر آيات التوحيد و حقائق التجريد و يكسبون الفيوضات من الحضرة الرحمانية بواسطة حقيقة الكلية الجامعة المحمدية و يقتبسون المعارف و الحكم الصمدانية من زجاجة التى توقد فيها مصباح الأحدىة فهؤلاء مشكوة لهذا المصباح و مرآة يرى فيها جمال حبيب الأعظم و النور الأقدم و السر الأتم و الرمز المنمنم اذاً كلما يظهر منهم من كلمات التامة فى آيات الآفاقية و الأنفسية كلها حكم ظهرت و انوار برزت و اشعة سطعت من مصباح حقيقة المحمدية و كذلك كلامهم و اشعارهم و معارفهم و علومهم و فنونهم اذاً فاعلم بأنّ القائل هو شمس حقيقة

المحمّديّة التي ظهرت اشعتها في هذه المرايا الصّافية و المجالى اللّطيفة و تقول هذه الحقيقة الكليّة و لم اله باللاهوت عن حكم مظهرى اى لم احتجب باستفاضة المعانى و المعارف و التّجليات و الفيوضات و الأسرار الرّحمانيّة عن الافاضة الى النفوس المستعدّة و الحقائق القابلة لهذا الفيض الأعظم لأنّ للحقيقة المحمّديّة مقامان مقام الاستفاضة التي يعبر بالولاية المطلقة و الاشتعال بنار الأحديّة كما قال عزّ و جلّ فقال لأهله انى آتست ناراً لعلّى آتيكم منها بقبس و لعلكم تصطلون فهذه الحقيقة جامعة لهذين المقامين و لا يشغله احدهما عن الآخر لأنّه كان فى كلّ الأحيان يتلقّى الفيوضات و التّجليات و حقائق اللاهوتيّة و الشّؤون الرّبانيّة و يبلغ رسالات ربّه لعباده و يبيّن لهم كلّ ما كان فى خزائن الغيب و محبوب عن الأنظار خلف الأستار و يريهم بقوّة ربّ الأرباب حتّى وصلوا الى عرش الايقان و كرسى الاطمينان و رزقوا بموائد السّمائيّة الرّبانيّة و ذاقوا حلاوة ثمرات العجّة من الشّجرة التي ارتفعت فى سيناء الظّهور و اشتعلت بنار الله الموقدة التي تطلع على الأفئدة اذاً فارفع يديك و قل اللهمّ يا الهى تعلم ذلّى و مسكنتى و افتقارى و احتياجى الى فضلك و رحمتك الكبرى فأمطر علّى من سحاب جودك و احسانك امطار العلم و العرفان لأكون متلذّذاً فى جنتك العليا و رفيقك الأعلى بمواهبك و عطاياك اى ربّ انى ظمآن فأسقى من كأس حبّك و انى جائع اطعمنى من نعمك الباقية و الآتلك البديعة انك انت المعطى بلا سؤال و المحسن على ارقائك بفضلك و منك و احسانك و انك انت الغفور الرّحيم

يا اخى قد اودعنا جواهر الأسرار فى غياهب الأستار لأنّ الوقت وقت لا يسعنى فيه ان اذكر ما عرفنى الله من الحان طيور جنّة الفردوس لذا ختمت بذكر الله جلّ و عزّ ليكون ختامه مسكاً للذين ارادوا الوصول الى مقام الذى لا يرى فيه الا تجلّى انوار وجه ربك المنيع مع ذلك انى لو اريد ان اشرح هذه الفريدة الغراء و الخريدة التوراء تنتهى الأوراق و لا ينتهى ما اردت فى ذكره فى مقامات تجليات ربك نسأل الله بأن يوفّقك على خدمته و طاعته و يقول فى كلّ الأحوال الحمد لله ربّ العالمين يا ايّها السّالك اردت ان القى عليك ما يجذب به القلوب و يقبّهم الى مقام الذى لا يرون فى الأشياء الا تجليات حضرة المحبوب ولكن منعتنى ظنون العباد و اوهام من فى البلاد فوالذى دلح لسان الفجر بثائه لو تطّلع بحالى و ما اعطانى الله بفضلته و كرمه و احسانه لتدع الورى عن ورائك و تصيح و تنوح فى العراء قد سترنا اسرار ربك الرّحمن العزيز الودود بما وجدنا النّاس غافلين عمّا اراد الله لهم انك لو تسمع منى ان اتبع ما دلح به ديك العرفان على الأفنان هو هذا انّ السّالك فى المنهج البيضاء لن يصل الى مقام وطنه الا بكفّ الصّفر عمّا فى ايدى النّاس ضع وطن الترابى ثمّ اقصد الى مقام الذى جعله الله اصل الوطن لكلّ من اقبل الى الله مالك السرّ و العلن لعمرك ليس اليوم يوم السّؤال و الجواب هذا يوم لو تنظر بعين الفؤاد فى وجوه العباد لتجد اهل الحقّ لأنّ فى وجوههم ترى نضرة الرّحمن بين اهل الامكان ضع الاشارات قاصداً الى مقام الذى جعله الله مقدّساً عن الدلالات فوالله انى ما اردت لك الا ما هو خير لك و كفى بالله شهيداً انّ البحر عظيم عظيم اذا بلغت و وردت اياك اياك ان يمنعك امواجه قل بسم الله و بالله ثمّ اغمس فيه لتجد لآلى علوم ربك التي ما بلغ اليها احد الا من شاء الله نسأل الله بأن يوفّقك على الاقبال اليه و التّوكّل عليه فى كلّ الأحوال انه لهو الغنى المتعال فى آخر القول نشهد ان لا اله الا الله اقراراً بوحدانيّته و اعترافاً بفرديّته و نشهد انّ حبيبه هو المحبوب و اصطفاه بين بريته لهداية خلقه و جعله مطلع اسمائه و مشرق صفاته و مهبط وحيه و مظهر نفسه و جعله حاكياً عنه فى جميع عوالمه انه لهو المقتدر المتعالى العزيز الحكيم